

عدن

" حواء و الحية و التفاحة " ثلاث عناصر أسست بنيان أسطورة لازمت التاريخ البشري و لبنة في بنيان العقائد التي يتعبد بها البشر " آلهتهم ". فطغت المعصية على وجدانه البشري وعاش هاجس الطرد من الجنة ، فتحاول الأسطورة تعديل المسار فتنزل " آدم " كونه ضحية " حواء و الحية و التفاحة " في عدن ، وعدن هي جنة الأرض الواقعة في مثلث " الكوفة ، البصرة ، الأهواز " ، و حرمت الأسطورة حواء من النزول في جنة عدن لمشاركتها الحية في غواية آدم ، أسطورة تقول إنها نزلت في مدينة جدة ، وأخرى تقول في الهند ، عموما إستغرق البحث من كليهما على الآخر 500 عام ، عمر آدم 930 سنة حسبما ذكر . لكن إسطورة ثالثة تعزو الخمسمائة عام التي عاشها آدم وحيدا ، كي يشعر بالوحدة و يطلب من ربه أن يجعل له ونيسا فقبل الرب بذلك و إشتراط على آدم أن يكثر من نسله ، لأن الرب ظل وحيدا لا يعرف ولا يعبد منذ أن خلق الأرض ، فقبل آدم هذا الشرط .

وفي إسطورة أخرى تعتمد على الخرافات التوراتية تقول إن آدم الذي كان في الجنة و طرد منها هو " آدم الروحي " وإِ خلق هيكله من فخار ، وإستغرق الرب أربعين عاما كي يكمل هيكل آدم ثم نفخ فيه روحه (روح آدم التي في الجنة) و جعله نائما وأخذ منه ضلعا أعوجا وخلق منه حواء التي إكتسبت روحها الحياة من روح آدم ولَم ينفخ فيها الرب مباشرة .

ومهما تعددت الأساطير ، إلا أن العقدة الملحة في تفسير الوجود الأول للنواة البشرية قد " حلت " وأصبح عندنا "تفسيرا" له ، أخذ به جها بذة العلم و التفسير .

لكن الأسطورة التي جمعت بين آدم و حواء لم تنسى موضوع الخمسمئة سنة التي أفترق ، أو الأصح " هجر " آدم حواء فيها . وهنا تدخلنا الأسطورة في حلقة مشوقة من حلقات حياة آدم و حواء ، تصاحبها ألم و دمة ، فقد جاءت معاشرة آدم لحواء (الضلع الأعوج) بولادة ذكر و أنثى في كل حمل ، فعزما أن يزوجا الذكر الأخ من الأنثى الأخت من الحمل الثاني ، و لسوء الطالع كانت نصيب الأبن الطموح قابيل (قاب ائيل من هذه القسمة " غير منصفة " من وجهة نظره ، فزوجت (أخته) أخيه هابيل (هاب ائيل) أجمل من زوجته (أخته)، هنا طهر الشيطان كما طهر (الحية) لأبيه آدم فقام قابيل بقتل أخيه هابيل ، إلا أن الأسطورة أضافت على هذا القتل إضافة عنصر معصية قابيل لحكم الإله عندما تقبل هدية هابيل ولَم يتقبل هدية قابيل كدليل على أن اِ راضيا على توزيع الأخوات على الأخوة ، فسدت الأبواب على قابيل و زاد حنقه على أخيه الذي فاز بالأخت الجميلة و برضى الرب ، فقام بقتله .

ما هو موقف الأسطورة الذي وضعته على لسان آدم و حواء نتيجة هذه الفاجعة الفريدة و الأولى في تاريخ البشر ؟. كانت الأسطورة " منطقية " في رسم ردود فعل آدم ، الذي خيم الحزن عليه أضعافا مضاعفة لأن

قاتل إبنه هو إبنه الآخر ، ولكون المقتول "هاب ائيل " هو الإمام الوصي من بعده (حل محله شيث) ، ونتيجة للغم الذي وقع فيه آدم إستخلص أن " الرب " هو الذي تسبب في وقوع هذه الجريمة الفظيعة ، فقرر رد "مكر " إله به بمكر !، حيث عزم على عدم معاشرة حواء كي لا تنجب بشرا يعبدون الرب!.

" تفاجأ " الرب بردة فعل آدم (الأسطورة) و حاول أن يقنع آدم أن لا يعتزل حواء ، و آدم يصم أذنيه و يهرب من الرب و يختبئ في مغارة الى مغارة ودام هذا الخصام وهذا الجفاء بين " الطرفين " آدم و الرب خمسمائة عام .

هنا تتدخل إسطورة أخرى مقتنصة الحدث المليء بالدراما و المعقد ، فآدم و حواء قد افترقا ، والرب من خلقه البشر لم يصل الى غايته ونسل البشرية أصبح مرهونا برضى آدم ، فحواء لا تنقصها الأنوثة الغاوية على حسب ما ذكرته جميع الأساطير . هنا رضي الرب على آدم و زال سخطه ، فسمع آدم الرب يناديه من جديد و يطلب منه أن يعود الى حواء (المشتاكة) و يعاشرها ، علم الرب ما في نفس آدم ، فأخذ يطمئنه (وتعهده إليه) أن ما حدث لها بيل على يد قابيل لن يتكرر مرة أخرى !؟. فقام آدم على خيفة و وجس من أمره بمعاشرة حواء حتى حملت ، وعند الولادة حدثت المفاجأة الكبرى فقد كان كلا الحملين ذكرين ولم تكن أنثى بينهم

فأطمأنت نفس آدم و رضي بالذكرين وعاد و عاشر حواء حال أصبحت جاهزة للمعاشرة ، وحملت و وضعت ذكرين لا أنثى بينهما . إستمر الحال بآدم و حواء على هذا الحال المرضي و المطمئن وأن الرب أوفى بعهده. وما أن يبلغ إحدا الذكران المولودان الرشد الجنسي إلا و تأتي ملائكة الرب بحوريتين من حواري الجنة فائقتي الجمال ، زوجتين للذكرين ، فسر ذلك آدم و حواء أيما سرور و استمرا في الإنجاب و استمر الرب يرسل ملائكته بحور العين الى أن كبر أولاد و بنات الأخوة الذكور (أولاد آدم) فتزاوجوا فيما بينهم و تكاثروا وأخذوا يشكرون الرب و يعبدونه . ثم إنقطع نسل آدم من حواء و استغنوا عن حور الجنة فتوقف الرب عن إرسال ملائكته بالحور .